اللغة اللاتينية

أحمد عثمان

لا ريب فى أن أية لغة وصل بها التطور إلى حد القدرة على التعبير الرشيق عن أدب رفيع تكتسب سمات وخصائص تميزها عن غيرها من اللغات . فما بالنا بلغة كاللاتينية ! إحتلت يوماً ما مكان الصدارة بين لغات الدنيا المعروفة آنذاك . ذلك أنها كانت لغة الإمبراطورية الرومانية ومن ثم فهى أداة السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله . فلاغرو إذن أن حاول الرعايا من غير أبنائها أن يلموا بها . ولقد ساعدهم فى ذلك أن النظام الصوتى اللاتينى – أى الحروف اللينة وتفاعلاتها – لا تعقيد فيه ، فهو أقرب ما يكون إلى الطبيعة . أما النظام الهجائى (الأورثوجرافى) أى ضبط التهجئة فهو من أيسر الأمور فى اللاتينية ، لأنه يأتى موازياً ومنسجماً تماماً مع النطق أى مع النظام الصوتى . حتى أنه يمكن القول بشىء من التعميم أن إملاء أية مقطوعة لاتينية على أى شخص لا يتقن هذه اللغة أيسر بكثير جداً من إملاء مقطوعة من أية لغة أوروبية حديثة على نفس الشخص أو شخص آخر يماثله . ذلك أن كل حرف فى أى كلمة لاتينية ينطق ، فلا يهمل حرف أو يترك أو يدغم فى آخر على نحو لا يتيح للأذن إلتقاطه . ويأتى ذلك على نقيض ما حدث فى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية بل والإيطالية على سبيل المثال .

لايتيح النحو اللاتينى ولا قواعد تركيب مفردات الجملة فرصة كبيرة أو صغيرة للغموض والإبهام أو حتى الإزدواجية فى المعنى ما لم يستهدف الكاتب المبدع شيئاً من هذا القبيل . كل ذلك ساعد على تعلم الأجانب اللغة اللاتينية بسهولة ، حتى أننا سمعنا عن أدباء كثيرين كانوا مرموقين فى الإمبراطورية الرومانية ، وكانوا فى نفس الوقت من الرعايا الأجانب لا المواطنين الرومان . يأتى فى مقدمتهم ليڤيوس أندرونيكوس أول أديب عرفناه فى روما ، ولا ننسى أديب آخر مثل سينيكا الفيلسوف الشاعر المولود فى قرطبة بأسبانيا وأكبر كتاب العصر الفضى وسنرى فى صفحات هذا الكتاب أمثله

أخرى كثيرة .

ولا توجد فى اللغة اللاتينية تلك الفروق الحادة فيما بين اللهجات كما هو الحال فى اللغة الاغريقية حيث إختص كل ضرب من ضروب الأدب الاغريقية بالارتباط أو التشبع بهذه اللهجة أو تلك . وأكثر من ذلك فإنه بالنسبة للأدب اللاتينى لا يوجد ذلك الضرب الأدبى الذى يمكن أن نعده لاتينياً خالصاً دون أن تشوبه شائبة التأثر باللغة الاغريقية أو غيرها ، ويدخل فى ذلك فن الهجاء نفسه الذى يزعم الرومان أنه من إبتداعهم الخاص .

إشتق إسم اللغة اللاتينية من "لاتيوم" Latium ذلك السهل الذى تقع روما على حدوده الشمالية . وكانت هذه اللغة فى الأصل تمثل إحدى اللهجات المحلية الايطالية المنتمية إلى أسرة اللغات الهندأوروبية ، ولعل أقرب اللهجات إليها هى اللهجة الفاليسكية Faliscan أو اللهجة الأوسكية Oscan ، فهى التى كان يتحدث بها السامنيتيون . وتقترب من اللاتينية أيضاً اللهجة الأومبرية Umbrian وهى لغة المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقى من روما . ومع أنه لم يبق شىء من اللهجتين الأخيرتين سوى مجموعة من النقوش المهلهلة تحمل أسماء أعلام وبعض الشذرات من العبادات أو التراتيل ، إلا أن بقاء هذه اللهجات الايطالية القديمة ملموس فى اللغة اللاتينية نفسها . فنحن نجده فى الأشكال اللغوية الشاذة مثلbos bovis بمعنى ثور و anser-eris بمعنى الأوز . اذ كان من المتوقع أن يكونا على النحو التالى وعلى التوالى vos vovis و hanser - eris .

ولا تنتمى اللغة الإتروسكية إلى الأسرة الهندأوروبية وقد تأثرت بها اللاتينية تأثراً كبيراً . ولا أدل على ذلك من أن الرومان قد إتخذوا لأنفسهم بعض الأسماء الإتروسكية التى صارت لرجالات روما المبرزين . مثل سلا Sulla وكاسكا Casca ومايكيناس Maecenas . وأخذ الرومان كذلك عن الإتروسكية بعض المصطلحات التقنية مثل histrio "ممثل" و persona " القناع" أو "الشخصية" . ومن المدهش أن كلمتين مهمتين فى الفكر الرومانى واللغة اللاتينية من أصل إتروسكى إنهما urbs "المدينة"

والمصدر amare "أن يحب" ! وصار من شبه المتفق عليه بين اللغويين أن الأبجدية اللاتينية إشتقت من الاغريقية عبر التأثير الإتروسكى .

وإلى جانب هذه اللهجات الايطالية المحلية ينبغى ألا ننسى وجود اللغة الكلتية فى الشمال واللغة الاغريقية فى الجنوب الغربى . بالنسبة للكلتية لم يتبق منها فى اللاتينية سوى كلمات بسيطة مثل petorritum أو petoritum "عربة مفتوحة ذات أربعة عجلات" ، و gaesum" رمح طويل وثقيل " و carrus" عربة للبضائع ذات أربعة عجلات " ، وربما جاءت منها كلمة "عربة كارو" فى اللهجة المصرية الدارجة التى ربما أخذتها عن اللغة الايطالية (carro) .

ويقول كولينج N.E.Collinge إن هناك علاقة جدلية من الحب والكراهية تجمع بين اللغة اللاتينية والاغريقية[١] . فها هو شيشرون يصرخ قائلاً "دعنا نستخدم لغتنا ولا نحشر – كما يفعل الآخرون – بعض المفردات فيثيرون بذلك سخرية الناس" [٢] . ومما يذكر أن شيشرون الذى يقول ذلك هو نفسه الذى تأغرقت على يديه – أكثر من غيره – بعض فنون النثر اللاتينية[٣] . ولقداستعارت اللغة اللاتينية الشىء الكثير من اللغة الاغريقية منذ وقت مبكر وأخذت الإستعارة بعد ذلك تتجدد جيلاً بعد جيل . ويبدو أن الرومان قد وثقوا بأنفسهم إلى درجة أنهم لم يكترثوا كثيراً بمسألة الحفاظ على لغتهم وحمايتها من التأثير الأجنبى ولا حتى باللحن فيها . بيد أن ذلك لا يعنى أن الرومان لم يكونوا غيورين على لغتهم أو أنهم قبلوا بكل مستورد فى اللفظ دون أدنى تحفظ . حقاً إنه قد حدث بين الحين والحين أن ذهبت موجة طاغية من الإعجاب بكل ما هو أجنبى والتشدق ببعض المفردات المستوردة – وهذا ماسماه الرومان peregrina insolentia أى الولع بمخالفة القول المألوف وبإستخدام المفردات الأجنبية[٤] . ولكن مثل هذه الموجات لم تك ذات أثر كبير على التطور الطبيعى للغة اللاتينية ووعيها بذاتها .

وإذا نظرنا إلى اللغة اللاتينية بوجه عام لاحظنا أنها لم تضم بين طياتها وفى أية مرحلة من مراحلها أية صيغة خاصة مصطنعة أو تركيبة لغوية متفق عليها ، يتوجه بها الناس لمخاطبة حكامهم ورؤسائهم كما حدث فى اللغة الاغريقية وكما يمكن ملاحظته فى أوراق البردى بصفة خاصة ، وكما حدث فى لغات حية كثيرة من بينها اللغة العربية . المهم لم تك هناك قط فى اللغة اللاتينية أية أساليب إصطلاحية تفرق بين هذه الطبقة من الناس عن تلك ، ولا تميز فناً أدبياً عن آخر . لا نجد هذه اللغة الإصطلاحية إلا فى النصوص القانونية والدينية . ولم تمارس فى روما أية تفرقة لغوية طبقية أو عنصرية ، إذ كان رجال السلطة على أتم إستعداد لتبنى الإستخدامات اللغوية الشعبية . فها هو بوبليوس كلاوديوس بولكر P. Claudius Pulcher يصحح إسمه الأوسط إلى كلوديوس Clodius نزولاً على الميل الشعبى لنطق الصوت المزدوج au وكأنه حرف متحرك واحد هو o .

ومن الخصائص المميزة للغة اللاتينية هو إقترانها بالتربة الزراعية ، فنادراً ما نجد فى الأدب اللاتينى تشبيهاً مستمداً من حرفة صناعية مثلاً . ونحن لسنا بحاجة إلى التنويه بأن اللغة اللاتينية هى فى الأصل لغة أناس بسطاء يعملون أساساً بالزراعة فهذا ما تعرضنا له فى الفصل الأول . ومن ثم جاء إرتباط اللغة اللاتينية وحضارتها ككل بالمجسد المحدد لا بالخيالى أو اللانهائى غير الملموس . خذ على ذلك مثلاً الصفة laetus فهى تعنى "سعيد"ولكنها تنطبق على المحاصيل الزراعية والإنتاج الحيوانى ومن ثم تعنى "الصحيح" أو " ذو صحة جيدة" أو "منتج" . بل جاء المصدر laetare بمعنى " أن يسمّد " وإشتق منه إسم هو laetamen بمعنى "السماد" أو حتى "الروث" على أساس أن الأخير يستخدم كسماد . ويبدو ميل اللغة اللاتينية إلى التجسيد والتحديد والإيجاز من تلك العبارة الذائعة ذيوعاً مثيراً للإنتباه ونعنى ab urbe condita، وهى عادة تترجم بـ "منذ تأسيس المدينة" ولكنها حرفياًتعنى "منذ المدينة المؤسسة" أى روما . وقياساً على ذلك نستطيع تفهم العبارة اللاتينية المتداولة ante solem exorientem فهى تعنى "قبل الشمس المشرقة"لا كما نقول فى العادة " قبل شروق الشمس" .

وبالنسبة لنا يبدأ تاريخ اللغة اللاتينية الكلاسيكية (الفصيحة) بنصوص قانونية ربما صيغت إبان القرن الخامس ق . م وإن كان هناك نقش محفور على إناء ديوينوس Duenos أو الحجر الأسود lapis niger الذى يعود للقرن السادس ق . م . بيد أن البداية الحقيقية للغة اللاتينية الفصيحة تبدأ من منتصف القرن الثالث ق . م أى من الشذرات الأدبية وغير الأدبية التى بقيت لنا ، ولا سيما بقايا أعمال أول أديب لاتينى ليڤيوس أندرونيكوس وقبريات عائلة سكيبيو . وينتهى تاريخ اللغة اللاتينية الفصيحة بإعتراف شرلمان الرسمى باللغة اللاتينية العامية سنة ٨١٣ ميلادية . فاللغة اللاتينية الفصيحة إذن عاشت حوالى إثنى عشر قرناً متصلاً . ولقد إعتاد علماء اللغة على أن يختصوا بالعناية والرعاية ثلاث مراحل من مراحل تطورها وهى كما يلى : -

أ - فترة البدايات المبكرة : ٢٤٠ - ٨٠ ق . م وهى تبدأ بليڤيوس أندرونيكوس وتنتهى بظهور شيشرون .

ب - الفترة الذهبية : ٨٠ ق م - ١٤ م وهى الفترة التى تبلورت فيها تماماً اللغة اللاتينية الكلاسيكية بالمعنى الدقيق للكلمة stricto sensu حيث أصبحت لها ملامح مميزة وطبيعة خاصة .

جـ - الفترة الفضية : ١٤ - ١٨٠ م ، وهى تبدأ من موت أوغسطس وتنتهى بموت الكاتب أبوليوس .

ومن باب الولاء للغة والوطن حافظ الرومان على النصوص القديمة المتبقية من الفترة المبكرة أو حتى ما قبلها مثل النشيد الأرڤالى Carmen Arvale ، والنشيد الذى كان يلقيه كهنة الإله مارس (Salii) ويسمى Carmen Saliare (نشيد مارس) . وهى نصوص فى الأغلب لم يفهمها الرومان أنفسهم فى عصورهم المتأخرة . أما القوانين الملكية leges regiae فهى سهلة القراءة ميسورة الفهم مما يشى بأنها منحولة ، أى أنها لا يمكن أن تكون من لاتينية العصر الملكى القديم أى ما قبل عام ٥٠٩ ق . م . وإذا أردنا أن نستدل على صحة رأينا هذا نشير إلى أن المؤرخ بوليبيوس ومعاصريه بالقرن الثانى ق.م لم يتمكنوا من فك طلاسم نص وثائقى ورسمى لمعاهدة كانت قد أبرمت عام ٥٠٩ ق. م . ولكى نفهم ماذا تم فى اللغة اللاتينية إبان نشأتها الأولى

ومرحلتها المبكرة نقول – على سبيل المثال – إن اللاتينية فى عصر شيشرون بالقرن الأول ق . م تختلف تمام الإختلاف عن لاتينية القرن السابق عليه . إن هذا يعنى أن اللاتينية قد تطورت من قرن إلى قرن بصورة مذهلة ، ومن ثم فإن القرون السابقة على منتصف القرن الثالث ق . م – تاريخ ظهور أول أدب لاتينى مكتوب – قد شهدت بالقطع تحولات جذرية فى المسار اللاتينى ليس فقط على المستوى السياسى كما هو معروف ولكن على المستوى اللغوى أيضاً . لقد تم تصفية وتنقية هذه اللغة من الشوائب المعوقة فى سبيل أن تصبح لغة أدبية طيعة . وإذا قارنا نصوص ماقبل ظهور الأدب المدون بشذرات ما بعد منتصف القرن الثالث ق .م بدت لنا اللغة اللاتينية وكأنها بيت أعيد بناؤه – لاترميمه – وتأثيثه بل وطلاؤه وتزيينه ، فبدى وكأنه بيت جديد تماماً[٥] .

ومن كاتو (٢٣٤ – ١٤٩ ق . م) مروراً بجايوس جراكوس (١٥٣ – ١٢١ ق. م) إلى فارو (١١٦– ٢٧ ق .م) يجرى شريان اللغة اللاتينية متدفقاً بدماء جديدة تكسبها الحيوية وتقنن لها طبيعتها الأدبية . وإن كان أسلوب الكتابة لايزال شبه رسمى – إن صح التعبير – مع مفردات أجنبية مستوردة لايستهان بحجمها . ولقد إكتسب سالوستيوس (٨٦ – ٣٤ ق .م) لقب مخترع المفردات (verborum novator) ، بيد أننا لا نعرف كيف نقدر مدى ما نحت هذا الكاتب من كلمات . وقيل عنه إنه إستخدم فقيهاً لغوياً يتصيد له العتيق من اللفظ ليعيد هو إحياءه ! أما أسلوب سالوستيوس فيصيب القارىء بشىء من اللهاث لشدة تنوعه ، ولثرائه الغزير وبراعته المتطورة دوماً فى كيفية تشكيل المفردات وتركيب العبارات .

ونلاحظ فى كتابات يوليوس قيصر تحفظاً شديداً ، إذ نجده يتوجس خيفة من كل ما هو غير معتاد أو مألوف . إنه ينصح الكتاب بتحاشى اللفظ غير المألوف كما يتحاشى البحارة الصخور الناتئة عند سطح البحر عندما تلوح لهم على مسافة بعيدة[٦] . وهذه الميزة لفتت نظر شيشرون الذى أثنى على قيصر ولوكيوس كراسوس ، لأنهما كانا يتمتعان بذوق لغوى رفيع (elegantia) بحيث لا يمكن إقتناعهما بسهولة .

ولقد أصبح شيشرون نفسه أنموذجاً مثالياً للغة اللاتينية الكلاسيكية . فإنتاجه الأدبى كبير الحجم ، عريض المساحة ، وركز فيه صاحبه أيما تركيز على النسق الساحر والترتيب الدقيق والإلتزام الصارم بقواعد الأسلوب المتقن . إنه يؤكد على ضرورة الإستخدام النحوى الصحيح للمفردات ، لأن هذا برأيه يأتى فى المقام الأول وقبل التفكير فى الكتابة أصلاً . على أن ذلك كله لا يمنعنا من أن نضع شيشرون بين المجربين المجددين فى اللغة ، فهناك مرونة ملموسة فى إستخداماته لأسماء الفاعل والمفعول وما إلى ذلك . صفوة القول إن شيشرون وحده يعد نقطة تحول رئيسية فى مسار اللغة اللاتينية .

وعندما ظهر تيتوس ليفيوس (٥٩ق .م – ١٧ م) المؤرخ النابه صارت الأشياء التى كانت تنتقد فى الماضى عند سابقيه مقبولة لاتثير خوفاً ولا إستهجانا ، ذلك لأننا أصبحنا على عتبات العصر الفضى . وفى نفس الوقت كانت اللهجات المحلية تحارب جاهدة لكسب أرض جديدة فوقفت لها لغة العاصمة بكل حزم وثبات ، فذلك ما يبدو من كتابات أسينيوس بوليو (٧٦ ق . م – ٥ م) .

وفى القرن الأول الميلادى عاش كثير من المؤرخين بالإضافة إلى الشاعر الفيلسوف سينيكا (٤ ق . م – ٦٥ م) . بيد أن تاكيتوس (٥٥ – ١١٥ م) دون غيره هو الذى يعزى إليه إعادة تشكيل النثر اللاتينى . فبفضل هذا الكاتب – وعلى سبيل المثال لا الحصر – توسع الأفق الدلالى والوظيفى لحالة إعراب المضاف إليه بالنسبة للإسم وكذا صيغة المصدر بالنسبة للفعل . وبالجملة يمكن أن نعد تاكيتوس أمير النثر اللاتينى بلامنازع ، فلقد إحتل مكانة فى النثر تعادل مكانة فرجيليوس فى الشعر . وفى القرن الثانى الميلادى نجد أبوليوس (١٢٣ – ١٨٠ م) يتلذذ بممارسة ميله لكل ما هو فضفاض وبالبحث عن كلمات قديمة مهجورة يبعثها حية من جديد . وهو كاتب تأسره العبارات المهندمة أو حتى المزركشة بفخامة سافرة .

ومن الطبيعى أن يتساءل القارىء عن الفروق بين لغة النثر ولغة الشعر فى

اللاتينية . فنقول إنه فى الأصل لا توجد فروق جوهرية ، فالشعر ينظم بنفس اللغة التى يكتب بها النثر اللاتينى . وفى الواقع لا توجد فواصل لغوية بين هذا الضرب وذاك من ضروب الأدب اللاتينى فيما عدا لغة الملحمة والتراچيديا فى بدايتهما المبكرة ، فكانت لهما لغتهما الخاصة . ذلك أن الشعراء فى تلك الآونة كانوا يبذلون جهداً مضنياً فى سبيل بناء لغة لاتينية أدبية على قاعدة مستعارة من الاغريقية . حتى أن ليڤيوس أندرونيكوس ونايڤيوس وإنيوس كانوا يستخدمون المضاف إليه اللاتينى بنهاية اغريقية أحياناً كما فى العبارة المشهورة والتى تقدم ذكرها Pater Familias "أبوالعائلة" ، فالمفروض أن نقول Pater Familiae طبقاً لقواعد اللغة اللاتينية الكلاسيكية .

وإذا كان هؤلاء الشعراء يوصفون – ولاسيما ليڤيوس أندرونيكوس وإنيوس – بأنهم أنصاف إغريق أو متأغرقون semigraeci[٧] ، فإننا ينبغى أن نضع إلى جانبهم الأغانى الشعبية البطولية وهى أشعار محلية للأسف لم تصلنا كاملة وكانت تنشد فى المآدب وتقابل أغانى الشراب الاغريقية (scolia)[٨] . ومثل هذه الثنائية نجدها فى الأدب اللاتينى بصفة عامة وفى الكوميديا بوجه خاص . فالإطار العام للكوميديا الرومانية إغريقى ، وكل شىء فيما عدا ذلك رومانى . وكانت لغة مسرحيات بلاوتوس وترنتيوس هى لغة الحديث اليومى اللاتينى وإن لم تخلو من مفردات إغريقية متناثرة هنا وهناك .

لقد نجح لوكريتيوس (٩٤ – ٥٥ ق . م .) فى نقل فلسفة أبيقور الاغريقى إلى اللاتينية فى شعر عذب للغاية . أما ڤرجيليوس (٧٠ – ١٩ ق . م) وهوراتيوس (٦٥ – ٨ ق . م .) فيمثلان مرحلة لغوية لها أهميتها الخاصة . فهما شاعران يظهران إحساساً نادراً باللغة . ومما يلفت النظر أن اللغة المجازية الڤرجيلية سامية بصفة عامة ، ولكنها من حيث المفردات عادية ومهيأة لتقبل اللهجة الدارجة على كل لسان فى روما . لقد تميز العمق اللغوى عند ڤرجيليوس – وكما هو الحال عند هوراتيوس ولاسيما فى "الأغانى" – بما أسماه الأخير " iunctura "أى النظم غير المألوف لمفردات مألوفة . وهذا بالطبع ما يحيل اللغة غير الشاعرة شعراً صافياً . هؤلاء الشعراء الأوغسطيون

المرموقون هم الذين صنعوا ما نسميه اللغة الشعرية اللاتينية وصاغوها من مفردات عادية فساعدوا معاصريهم على العودة من جديد للتمييز بين الأنماط الأدبية ووضع القوانم الخاصة بكل فن على حدة .

وكان الإنحدار الأدبى اللغوى المميز للفترة الفضية قد بدأ حتى قبل موت المؤرخ تيتوس ليفيوس . لعبت الحياة السياسية الإمبراطورية دوراً حيوياً فى تحديد معالم الأدب واللغة إبان العصر الفضى . إذ سعى كتاب هذا العصر إلى الجديد بأى شكل وشاع التعبير المتعسف والمبالغة فى التأكيد والحرص على تضمين المتناقضات وتبنى أسلوب الإبجراما المبهر . وكان كل ذلك يهدف إلى كسب التصفيق الحاد لأن إلقاء الخطب وإنشاد المقطوعات الأدبية قد شاع فى تلك الفترة . وقد يلاحظ المرء فى أسلوب سينيكا الفليسوف الشاعر بعض ملامح الأسلوب الكلاسيكى ، إلا أنه لا يمكن أن يكون ذهبياً فهو فضى خالص لأنه مفعم بتلك المظاهر اللغوية الضعيفة ، متشبع بعناصر التدهور التى ذكرناها والتى تفشت فى كتابات سينيكا النثرية وتسربت إلى مسرحياته الشعرية . لقد جرى التيار الخطابى فى أدب تلك الفترة ووصل ذروته عند تاكيتوس وهو بلامراء أعظم ناثرى العصر الفضى .

ولقد شخص كوينتيليانوس كل أعراض الضعف اللغوى والأسلوبى فى كتابات العصر الفضى بقوله الموجز والبليغ[٩] .

" nihil iam proprium placet, dum parum creditur disertum, quod et alius dixisset "

"لا شىء خاص يسر طالما يعتقد أنه أقل تعبيراً حتى ولو سبق أن إستخدمه الغير" .

وقال كوينتيليانوس كذلك[١٠] :

" tum demum ingeniosi scilicet, si ed intelligendos nos opus sit ingenio"

"عندئذ بحق وفى النهاية سنكون من أهل الموهبة إذا كان الآخر (أى المتلقى) يحتاج بالضرورة إلى الموهبة لكى يفهمنا"

وفى الواقع تتميز أساليب كتاب العصر الفضى بمحاولة الناثرين إستعارة بعض

المفردات الشعرية التى صاغها ورسخها فرجيليوس وغيره من شعراء العصر الذهبى . بالإضافة إلى ذلك فإنهم يسعون أيضاً إلى إضفاء الطابع الشعرى على المفردات العادية إذ يخلعون عليها معان جديدة لم تك لها من قبل . وتكونت على أقلام هؤلاء الكتاب كلمات جديدة كتلك التى تنتهى بـ tor – و sor – وتدل على فاعل الفعل وهو ما بقى حتى الآن فى اللغة الإيطالية والإنجليزية (مثل قولهم inventor أو director الخ) . ويفضل كتاب الفترة الفضية الأفعال البسيطة بدلاً من تلك المركبة وهم بذلك يقلدون الشعراء . وهم يتحررون من قواعد النحو الصارمة ولا سيما فى إستخدامهم لحالات إعراب الأسماء بشكل لم يسبق له مثيل فى الفترة الكلاسيكية . أما بالنسبة الأفعال فهم يستخدمون أزمنتهامتحللين من القواعد الصرفية الكلاسيكية والأصول التركيبية ولاسيما جملة مقول القول .

على أنه ينبغى أن نفرق بين لغة الأدب أى اللاتينية الفصحى واللغة اليومية sermo cotidianus والتى يقول عنها كوينتيليانوس إنها " لغة حديثنا مع أصدقائنا وأزواجنا وأطفالنا وعبيدنا "[١١] . ولقد كتبت مسرحيات بلاوتوس وترنتيوس الكوميدية بهذه اللغة . ولعلنا بذلك نفهم ما قاله شيشرون أى أن لغة السيدات النبيلات الرومانيات كانت تذكره دوماً بلغة بلاوتوس . ويعد اللغويون لغة ترنتيوس صورة رشيقة ومصفاة من هذه اللاتينية الدارجة . ويوسعنا أن نضيف إلى مسرحيات بلاوتوس وترنتيوس نصوصاً أخرى مكتوبة بنفس هذا المستوى اللغوى ونعنى رسائل شيشرون ولاسيما تلك الموجهة إلى صديقه أتيكوس أو بايتوس والذى يقول له فى إحدى الرسائل :

" Quid tibi videor in epistulis ? nonne plebeio sermone agere tecum ? epistulas vero cotidianis verbis texere solemus "

"كيف أبدو لك فى رسائلى ؟ ألا أبادلك الحديث على شاكلة ما يفعل عامة الناس ؟ حقاً لقد تعودنا أن ننسج خيوط رسائلنا بالمفردات اليومية"[١٢]

ومن أهم خصائص اللغة الدارجة فى روما أنها تستخدم صيغة التصغير للأسماء والصفات بكثرة (وهذا أمر لا يزال شائعا فى الايطالية واليونانية الحديثة) . وتكثر كذلك فى اللغة الدارجة علامات التعجب . وهى بالطبع لغة تتخفف كثيراً من القواعد النحوية

الصارمة ، وتكثر فيها كذلك المفردات الاغريقية . وتستخدم اللاتينية الدارجة السابقة per لتعميق أوتأكيد المعنى وتستخدم نقيضها – sub للتقليل والتخفيف . ويلفت النظر أن هذه اللغة إمتدت بتأثيرها إلى أشعار هوراتيوس ولاسيما "الهجائيات" و " الرسائل " . أما كاتوللوس فى قصائده الغرامية فلم يتورع عن توظيفها لخدمة أغراضه . وفى مؤلف فيتروفيوس "عن العمارة" (De Architectura) نلتقى بلغة دارجة أقرب ما تكون إلى لغة رجال الأعمال الرومان آنذاك . ويميل بيترونيوس فى مؤلفه "ساتيريكا" (Satyrica) إلى العامية .

وبالإضافة إلى لغة المتعلمين اليومية ، أى اللغة الدارجة ، هناك لغة الأميين أو ما يمكن أن نسميها اللغة السوقية أو لغة الرعاع (vulgaris, sordidus, plebeius sermo) ولقد تعرفنا عليها من النقوش ومن بعض المؤلفات الأدبية القليلة مثل "ساتيريكا" لبترونيوس . وتعرفنا على هذه اللغة أيضاً من المراحل الأولى لانبثاق اللغات الرومانسية عنها . وتميل هذه اللغة العامية إلى محاولة إيجاد شكل منتظم وثابت للكلمات وتجنح إلى التأكيد، ولاتهتم بالفوارق الكمية بين الحروف المتحركة أو اللينة أى الطويلة والقصيرة فهى تكاد تختلط بعضها بالبعض . وفى هذه اللغة تسقط الحروف t ، s ، m من نهاية الكلمات . وينطق حرف b كما لو كان v (وهذا ما حدث فى اليونانية الحديثة) . وفى هذه العامية يحدث أيضاً خلط بين المذكر والمؤنث والجماد . ولا يراعى إستخدام حالات إعراب الأسماء وتعريف الأفعال بالدقة النحوية المطلوبة ، ولاسيما صيغ التصغير بالنسبة للأسماء والصفات وصيغ التأكيد أو التكرار بالنسبة للأفعال . وحلت كلمات جديدة محل كلمات كلاسيكية كانت راسخة فصارت مبتذلة . وسنورد هنا سطرين من هذه الكلمات يمثل السطر الأول الكلمات الجديدة المفضلة ويمثل الثانى صورها الكلاسيكية المهجورة :

grandis	manducare	iocus	vetulus	focus	portare	comparare
magnus	edere	ludus	senex	ignis	ferre	emere

يشترى يحمل موقد نار شيخ ، عجوز لعبة ياكل كبير ، عظيم

ومن الملاحظ أن كلمات السطر الأول هى التى بقيت فى الايطالية وغيرها من اللغات الرومانسية . وفى هذه اللغة العامية اللاتينية تغير ترتيب مفردات الجملة عنه فى

اللاتينية الكلاسيكية وصار أكثر بساطة وأقرب إلى ماسيحدث فى اللغات الأوروبية الحديثة .

وقبل أن نختم حديثنا الموجز عن اللغة اللاتينية نود الإشارة ولو فى عجالة إلى أنه رغم كونها من بين اللغات التى تعد ميتة ، بمعنى أنه لا يوجد شعب من الشعوب الآن يتحدث اللاتينية ، إلا أنها لا تزال حية فى عدة لغات ولهجات أوروبية منها : الأسبانية ، البرتغالية ، الفرنسية ، الايطالية ، لغة رومانيا واللهجة الكاتالانية (Catalan) والبروفينسالية Provencal والكورسيكية (Corsican) والساردينية (Sardinian) والرومانشية(Romansch) واللاطينية أو اللادينية Ladin . وهى لغات ولهجات إشتقت مباشرة من اللغة اللاتينية العامية .

وبهذه اللغات واللهجات الأوروبية تم نقل أغلب التأثير اللاتينى إلى أوروبا الحديثة والمعاصرة وكذلك إلى أمريكا الجنوبية والشمالية بل وإلى العالم كله[١٣] .

الحواشى

١- N.E. Collinge,"The Latin Language" (in D. Daiches - A.Thorlby edd., The Classical World. Aldus Books, London 1972), pp.127-154 esp. p. 134
W.S Allen, Accent and Rhythm. Prosodic Features of Latin and Greek. A study in Theory and Reconstruction. Cambridge University Press 1973.

٢- Cicero , De Off., I, 31, 111

٣- الجدير بالذكر أن كاسكا فى مسرحية شكسبير الخالدة "يوليوس قيصر" يقول عن شيشرون "إنه يتحدث بالاغريقية" . (الفصل الأول) المشهد الثانى . وعن شيشرون راجع د. أحمد عتمان : الأدب اللاتينى ودوره الحضارى (حتى نهاية العصر الذهبى) ، ص ١٥٣-١٨١

٤- Cicero, De Oratore, III, 2, 44

٥- عن بدايات الأدب اللاتينى وارتباطها بطبيعة اللغة أنظر : د. أحمد عتمان : الأدب اللاتينى ودوره الحضارى (حتى نهاية العصر الذهبى) ، ص ١١-١١٥

٦- ap. Aulus Gellius , X, 3, 14

٧ - Suetonius , De Gramm. I

٨ - أنظر د. أحمد عثمان: الأدب الاغريقى تراثا انسانيا وعالميا. الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٨٧، ص ١٣٩ وما يليها.

٩ - Quintilianus , VIII praem.

١٠ - Ib.

١١ - Ib.

١٢ - Cicero , (ad Paetum) Epst. 23

١٣ - لمزيد عن اللغة اللاتينية من حيث تأثرها باللهجات الايطالية القديمة وتطورها ثم تأثيرها فى اللغات الحديثة أنظر :

M. Fowler - R.G. Wolfe, Materials for the Study of the Etruscan Language. Roma, L'Erma 1980.

L. Magini, La Parola degli Etruschi. Roma, il Ventaglio 1987.

M. Pittau, La lingua dei Sardi Nuragici e degli Etruschi. Sassari, Dessi, 1981.

F. Roncalli (a cura), Scrivere etrusco. Dalla leggenda all conoscenza. Scrittura e letteratura nei massimi documenti della lingua etrusca. Mostra, Perugia, Rocca Paolina, maggio - settembre 1985. Milano Electa 1985.

R. Giacomelli, Graeca Italica. Studi sul bilinguismo,- diglossia nell'Italia antica. Brescia, Paideia, 1983.

A. Marinetti, Lingue e dialetti dell'Italia antica. Roma, Bibliotheca di Storia Patria 1984.

S. Andrei, Aspects du vocabulaire agricole latin. Roma, L'Erma. 1981.

C. De Meo, Lingue tecniche del latino. Bologna. Pàtron. 1983.

E. Vineis (a cura), Alle origini del latino. Atti del Convegno della Società Italiana di Glottologia. Pisa 7-8 dicembre 1980. Giardini 1982.